نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٨ —

انتهى بنا الحديث فى المقال السابق الى بيان أثر نظرية النبوة الفارابية فى القرون الوسطى . ويظهر أنها لم تقف عند هذا الحد بل جاوزته الى التاريخ الحديث . ونرى واجباً علينا لإتمام هذا البحث أن نشير الى بعض المفكرين المحدثين فى الغرب والشرق الذين حاولوا تفسير النبوة تفسيرا يمت بصلة الى النظرية الفارابية ؛ ولن نتحدث من بين فلاسفة الغرب إلا عن اسبينوزا الذى أشرنا فى بحث سابق الى أنه يلتقى مع الفارابى فى نقط كثيرة (١) . وأما مفكرو الشرق ومصلحوه فسنذكر من بينهم شخصيتين جليلتين كانت لهما اليد الطولى فى نهضة الأمم الاسلامية الأخيرة وتقدمها العلمى والأدبى ، وهما السيد جمال الدين الأفغانى والأستاذ الامام . ولا نظن أحدا الى الآن حاول أن يربط آراء هذين المصلحين ربطاً وثيقاً بنظريات علماء الاسلام الأول ومفكريه ، اللهم إلا محاولات ضئيلة ترمى الى إيجاد علاقة بينهما ، أو بين الأستاذ الامام بوجه خاص من جانب وابن قيم الجوزية وابن تيمية والغزالى من جانب آخر (٢) . وإذا صح أن آراءهما الدينية قد ربطت بأقوال بعض أئمة السلف فأبحاثهما العقلية لا تزال حتى الساعة غير واضحة الصلة بنظريات فلاسفة الاسلام . وخطأ أن يظن أن هذه الصلة مقطوعة أو معدومة ، فأن السيد والامام إنما تم تكوينهما أولا وبالذات على حساب المصادر العربية ؛ وفى مجلة العروة الوثقى ما يشهد بأنهما كانا يدعوان الى دراسة فلاسفة الاسلام وتفهم أفكارهم (٣) . وسنرى بعد قليل كيف يلتقيان فى مشكلة من أهم المشاكل الاسلامية

(١) مذكور ، الرسالة ، عدد ١٧٢ ، ص ١٦٦٨

(٢) I. Scgach, Muhmed Abdo, dens Enqyc de. Islam

(٣) العروة الوثقى ، المقالة الرابعة

كنا نعلم أن الصلة بين العقل والنقل بين الفلسفة والدين شغلت الفلاسفة المحدثين كما كانت حجر الزاوية فى فلسفة القرون الوسطى . وقد وقف اسبينوزا على هذا الموضوع كتابا مستقلاً غير معروف من جمهور القراء ، لأن نفوذ كتابه الآخر المشهور « الأخلاق » غطى عليه ، ونعنى به « رسالته الدينية السياسية » التى تتمم فى رأينا مذهبه الفلسفى . ذلك لأنه إذا كان « كتاب الأخلاق » يوضح الحقائق العقلية ، فأن هذه « الرسالة » تشرح الحقائق النقلية . وهذان الضربان من الحقائق متميزان عند اسبينوزا ومستقلان تمام الاستقلال ويقابلان علمين منفصلين : الحقيقة العقلية موضوع الفلسفة ، والحقيقة النقلية موضوع علم الآلهيات ؛ واسبينوزا فيلسوف وعالم فى الآلهيات فى آن واحد ، فلا يستطيع أن يلغى إحدى هاتين الحقيقتين ولا أن يدمجها فى الأخرى ، بل يقرر أن كل واحدة منهما ضرورية ومطلقة النفوذ فى مضمارها ؛ والدين إن لم يكن الحقيقة كلها حقيق فى ذاته ولا غنى للجمعية عنه (١) . غير أن الحقيقة الدينية تعتمد رأساً على الوحى والالهام ، فكيف يتم هذا الوحى وبأنه وسيلة يستطيع الأنبياء الوصول إليه ؟ هذا هو السؤال الذى حاول اسبينوزا أن يجيب عليه . وفى رأيه أنا إذا تتبعنا الكتب المقدسة جميعها وجدنا أن الالهامات النبوية المختلفة سواء أكانت عبارات صريحة أم صوراً رمزية إنما تتم بواسطة مخيلة قوية (٢) . وعلى هذا لا تتطلب النبوة شرطا آخر سوى أن يكون الأنبياء ذوى خيالة نشيطة متنبهة (٣)

لا يمكننا أن نمر بهذه الآراء دون أن نفكر على الفور فى الفارابى وفى الدراسات الفلسفية اليهودية فى القرون الوسطى . حقا إن المعرفة الناتجة عن الوحى والالهام لا تساوى فى نظر اسبينوزا المعرفة العقلية ، مع أنهما عند الفارابى متساويتان متكافئتان ؛ ولعل هذا راجع إلى أن اسبينوزا فيلسوف قبل أن يكون لاهوتياً ، وديكارتى قبل أن يكون فارابياً ؛ ولا شك فى أن الأفكار الواضحة النيرة هى وحدها عند ديكارت سبيل المعرفة

(١) Brochord, Etnds, 336 — 337

(٢) Spinoza, Tralté théologieo. politique, p. 18

(٣) Ibip., p, 24

اليقينية غير أنه بالرغم من هذا الخلاف فمن المسلم أن الفيلسوف العربي والفيلسوف اليهودي متفقان على أن قوة الخيـالة شرط أساسي في النبوة . وهنا نتساءل : هل هذا الاتفاق مجرد مصادفة أو أخذ اسبينوزا عن الفارابي بعض آرائه في النبوة ؟ إذا ما لاحظنا أن الأول درس في عناية مؤلفات ابن ميمون أمكننا أن ندرك الصلة بين الأفكار الاسبينوزية ونظرية النبوة الفارابية . ونحن نلحظ من جهة أخرى أن مذهب السببية عند الفيلسوفين متحد ، وأنهما يقبلان فكرة التنبؤ بالغيب دون أن يكون لها أي أثر في مجرى القوانين الطبيعيـة . ففي مقدور ذوي النفوس الممتازة أن يقفوا أثناء اليقظة أو في حالة النوم على الأمور المستقبلة ويتكهنوا ببعض الحوادث التي ستحصل غداً أو بعـد غد لا محالة [1] . وعلى كل حال فنحن لا نذهب مطلقاً إلى أن اسبينوزا أخذ عن الفارابي مباشرة ، لأنه ما كان يعرف العربية ؛ وبعيد أن يكون قد وقع في يده شيء مما ترجم من كتب الفارابي إلى اللاتينية . وكل الذي نعتقده أنه استقى بعض الأفكار العربية من مصدر ثابت هو كتاب « دلالة الحائرين » لابن ميمون ، وفي هذا الكتاب ، كما قدمنا قسط وافر عن نظرية النبوة

ولنعد الآن مرة أخرى إلى الشرق وإلى السـيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الامام بوجه خاص . فأما السيد فلم يخلف لنا مؤلفات كثيرة نستطيع أن نقرأ فيها كل أبحاثه ونظرياته ، وفيما وراء « رسالته في الرد على الدهريين » ، و« تاريخه للافغان » لا نكاد نجد له إلا مقالات متفرقة في « العروة الوثقى » وفي بعض الصحف والمجلات الموجودة في ذلك العهد [2] . وكأنه اكتفى بأن يلقن أتباعه وتلاميذه تعاليمه دون أن يودعها بطون الكتب شأن سقراط وطائفة من المصلحين . هذا إلى أن حياة الاضطراب والرحلة والانتقال التي قضاها ما كانت تسمح له بالهدوء الكافي للجمع والتأليف . ومهما يكن فقد أدلى في موضوع النبوة بآراء جديرة بأن تسرد هنا . وذلك أنه أثناء مقامه الأول في القسطنطينية سـنة ١٨٧٠ دعي إلى إلقاء محاضرة في دار الفنون . ويظهر أنه شاء أن يكون موضوع المحاضرة متناسباً مع المكان الذي ألقيت فيه ، ولهذا تحدث عن فائدة الفنون . وفي خلال هذا الحديث شبه الجمعية بجسم مرتبط الأجزاء والأعضاء ، ولكل عضو من أعضـائه خاصة . ثم انتقل من هذا إلى أنه لا حيـاة للجسم إلا بالروح ، وروح هـذا الجسم هي النبوة أو الحكمة . فالنبي والحكيم من الجمعية الانسانية بمنزلة الروح من البدن . وكل ما بينهما من فارق : هو أن النبوة منحة إلهية لا تنالهـا يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده « والله أعلم حيث يجعل رسالته » في حين أن الحكمة تنال بالبحث والنظر . وفوق ذلك فالنبي معصوم من الخطأ والزلل ، بينما الحكيم يجوز عليه ذلك ويقع فيه [1] وأول شيء يستخرج من التشبيه السابق أن النبي عضو وعضو هام من أعضـاء الجمعية الانسانية ، وأن النبوة مهمة ووظيفة من الوظائف الضرورية للمجتمع . وفي هـذا ما هيأ السبيل لشيخ الاسلام حسن فهمي أن يثيرها شعواء على السيد متهما إياه بأنه يزعم أن النبوة فن ، وأن النبي صانع . وقد أحدثت هذه التهمة ضجة عنيفة في صحف الشرق المختلفة ، وترتب عليهـا أن أرغم السيد على مفارقة استامبول سنة ١٨٧١ [2]

(التتمة في العدد القادم) ابراهيم بيومي مدكور

(١) Brochard, Etudes, p. 335

(٢) Goldziher, Gyamâl al Dîn dans, Encyc qe l'Islam t. I. p. 1039

(١) Ibid., 1037—Browee The Tersian Bexolution, p.7

(٢) جورجي زيدان مشاهير الشرق ج ٢ ص ٥٤ — ٦٦

أدولف

للبنجمان كونستان الفرنسي

عربه الدكتور حسن صادق

أحلى تحليل للقلب الانساني وأصفى مرآة يبدو فيها كل دقائق عواطفه
هو كما قال الدكتور طه حسين في مقدمته
كتاب خطير الخطر من جميع الوجوه

ثمنه ٣٠ مليما من المكتبة التجارية الكبرى بمصر
والمكتبات الكبرى الأخرى